

تفسير السعدي

@ 451 @ (إلا ما كنتم تعملون) . ^ (وضربا) مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) ^ وهذه القرية هي : مكة المشرفة ، التي كانت آمنة مطمئنة ، لا يهاج فيها أحد ، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم ، يجد فيها قاتل أبيه وأخيه ، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم ، والنصرة العربية فصل لها في مكة ، من الأمن التام ، ما لم يحصل في سواها وكذلك الرزق الواسع . كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر ، لكن يسرا لها الرزق ، يأتيها من كل مكان . فجاءهم رسول منهم ، يعرفون أمانته وصدقه ، يدعوهم إلى أكمل الأمور ، وينهاهم عن الأمور السيئة ، فكذبوه ، وكفروا بنعمة الله عليهم ، فأذاقهم الله ، ضد ما كانوا فيه ، وألبسهم لباس الجوع ، الذي هو ضد الرغد ، والخوف ، الذي هو ضد الأمن ، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم ، وعدم شكرهم) (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) . ^ (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون * إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم * ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هـ ذاك حلال وهـ ذاك حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم * وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ^ يأمر تعالى عباده بأكل ما رزقهم الله من الحيوانات ، والحبوب ، والثمار ، وغيرها . ^ (حلالا طيبا) ^ أي : حالة كونها متصفة بهذين الوصفين بحيث لا تكون مما حرم الله ، أو أثرا من غصب ونحوه . فتمتعوا بما خلق الله لكم ، من غير إسراف ، ولا تعد . ^ (واشكروا نعمة الله) ^ بالاعتراف بها ، بالقلب ، والثناء على الله بها ، وصرفها في طاعة الله . ^ (إن كنتم إياه تعبدون) ^ أي : إن كنتم مخلصين له العبادة ، فلا تشكروا إلا إياه ، ولا تنسوا المنعم . ^ (إنما حرم عليكم) ^ الأشياء المضرة ، تنزيها لكم . ومن ذلك : ^ (الميتة) ^ ويدخل في ذلك كل ما كان موته على غير ذكاة مشروعة . ويستثنى منه ، ميتة الجراد والسمك . ^ (والدم) ^ المسفوح ، وأما ما يبقى في العروق واللحم فلا يضر . ^ (ولحم الخنزير) ^ لقذارته وخبثه ، وذلك شامل للحمه وشحمه ، وجميع أجزائه . ^ (وما أهل لغير الله به) ^ كالذي يذبح للأصنام والقبور ونحوها ، لأنه مقصود به الشرك . ^ (فمن اضطر) ^ إلى شيء من المحرمات بأن حملته الضرورة ، وخاف إن لم يأكل أن يهلك فلا جناح عليه إذا كان ^ (غير باغ ولا عاد) ^

. أي : إذا لم يرد أكل المحرم ، وهو غير مضطر ، ولا متعد الحلال إلى الحرام ، أو متجاوز لما زاد على قدر الضرورة . فهذا الذي حرمه الله من المباحات . ^ (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) ^ أي : لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم ، كذبا ، وافتراء على الله وتقولوا عليه . ^ (لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) ^ لا في الدنيا ، ولا في الآخرة ، ولا بد أن يظهر الله خزيهم ، وإن تمتعوا في الدنيا ، فإنه ^ (متاع قليل) ^ ومصيرهم إلى النار ^ (ولهم عذاب أليم) ^ . فإِنَّ تعالى ما حرم علينا إلا الخبيثات ، تفضلا منه ، وصيانة عن كل مستقذر . وأما الذين هادوا فحرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بسبب ظلمهم عقوبة لهم ، كما قصه في سورة الأنعام في قوله : ^ (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ، ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون) ^ . ^ (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) ^ وهذا حص منه لعباده على التوبة ، ودعوة لهم إلى الإنابة ، فأخبر أن من عمل سوءا بجهالة ، بعاقبة ما تجنى عليه ، ولو كان متعمدا للذنوب ، فإنه لا بد أن ينقص ما في قلبه من العلم ، وقت مقارفة الذنب . فإذا تاب وأصلح ، بأن ترك الذنب وندم عليه وأصلح أعماله ، فإن الله يغفر له ويرحمه ، ويتقبل توبته ، ويعيده إلى حالته الأولى ، أو أعلى منها . ^ (إن إبراهيم كان أمة قانتا حنيفا ولم يك من المشركين * شاكرا لأنعمه اجتباة وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) ^ يخبر تعالى عما فضل به خليله عليه الصلاة والسلام ، وخصه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة فقال : ^ (إن إبراهيم كان أمة) ^ أي : إماما ، جامعا لخصال الخير ، هاديا مهتديا ^ (قانتا) ^ أي : مديما لطاعة ربه ، مخلصا له الدين . ^ (حنيفا) ^ مقبلا على الله ، بالمحبة ، والإنابة ، والعبودية ، معرضا عن سواه . ^ (ولم يك من المشركين) ^ في قوله وعمله ، وجميع أحواله ، لأنه إمام الموحدين الحنفاء . ^ (شاكرا لأنعمه) ^ أي : آتاه الله في الدنيا حسنة ، وأنعم عليه بنعم ظاهرة